

القِصَصُ الدِّينِيّ  
الحلقة الثانية  
قِصَصُ السِّيَرَةِ

# الْحَسَنَاتُ

عبد الحميد جودة السحار

١٦

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ  
جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ  
تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . إِذْ جَاءُوكُم  
مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ  
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ،  
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا . وَإِذْ  
يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا  
اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ .

( قرآن كريم )

كَانَ الْيَهُودُ يَكْرَهُونَ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ  
 دِينَهُ يَنْتَشِرُ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَصْبَحُوا أَقْوِيَاءَ بِهِ ،  
 فَكَّرُوا فِي أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا ؛ لِيَقْضُوا عَلَى رَسُولِ  
 اللَّهِ ، وَيَسْتَرْجِعُوا مِنْهُ . وَلَمَّا كَانَتْ قُرَيْشٌ عَدُوَّهُ  
 الْأَشَدَّ ، ذَهَبَ بَعْضُ أَشْرَافِ الْيَهُودِ إِلَى مَكَّةَ ،  
 لِيَتَّفِقُوا مَعَ قُرَيْشٍ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ .  
 دَخَلَ الْيَهُودُ عَلَى أَبِي سُفْيَانَ وَسَادَاتِ قُرَيْشٍ ،  
 وَقَالُوا لَهُمْ :

— إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ ، حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ .  
 وَرَأَى بَعْضُ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ أَنَّ يَسْأَلَ الْيَهُودَ عَنْ  
 دِينِ مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ :

— يَا مَعْشَرَ يَهُودَ ، إِنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ



«التوراة» ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن  
ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟  
كان اليهود يحسدون محمدا ، ويغتاظون منه ،  
فقالوا :

— بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .  
جعلهم الحسد يقولون : إن عبادة الأصنام خير  
من عبادة الله الواحد ، فأنزل الله فيهم : « ألم تر  
إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ، يؤمنون بالغيب  
والطاعات ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهْدَى  
من الذين آمنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ،  
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا » .

ووافقت قريش على أن تحارب محمدا مع  
اليهود ، ولم يكتف اليهود بالاتفاق مع قريش على  
ذلك ، بل خرجوا يتفقون مع القبائل الأخرى ؛ كانوا  
يريدون أن يقضوا على الإسلام ، وأن يطفئوا نور الله .

بلغ المسلمين أن اليهود ألّبوا عليهم قريشاً  
 والعرب ، وأنّ أبا سُفيان قد خرج على رأس جيشه  
 ليقاتلهم ، فراحوا يفكّرون ماذا يفعلون ؛ إنهم  
 لا يستطيعون أن يُقاتلوا هذه القوى مجتمعة ،  
 ولكنهم يستطيعون أن يدافعوا عن المدينة . إنّ  
 العرب ما كانوا يعرفون القتال إلاّ وجهًا لوجه ،  
 فكان الرأي أن يقف المسلمون في وجه قوات أبي  
 سُفيان ؛ ولكنّ سلمان الفارسيّ ، الذي خرج من  
 بلاده يبحث عن الدّين الجديد ، حتى قابل رسول  
 الله ، وأسلم ، رأى في بلاده ما تفعله الجيوش

المَدْرَبَةُ فِي أَثْنَاءِ حِصَارِ الْمَدِينِ ، فَمَا اقْتَرَحَ حَفَرَ خَنْدَقٍ  
عَمِيقٍ وَاسِعٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ، وَقَالَ :

- أَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنْ تَضْرِبَ عَلَى الْمَدِينَةِ خَنْدَقًا ،  
فَيُصْبِحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَا يَسْتَطِيعُوا اقْتِحَامَهُ .  
أَعْجَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الرَّأْيِ ، فَتَاوَلَ فَأَسَا ،  
وَضْرَبَ بِهِ يَحْفَرُ الْخَنْدَقَ ؛ وَقَامَ الْمُسْلِمُونَ يَحْفَرُونَ  
حَوْلَ الْمَدِينَةِ خَنْدَقًا عَمِيقًا .

وَنَالَ التَّعَبُ مِنَ الرِّجَالِ ، فَرَاخَ النَّبِيُّ يُشَجِّعُهُمْ  
وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ ، كَانَ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ  
رَوَاحَةَ ، أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ :

لَا هُمْ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا      وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا

فَأَنْزَلَنَ مَكِيلَةً عَلَيْنَا      وَثَبَّتَ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا      وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً آتَيْنَا

فَرَاخَ الْمُسْلِمُونَ يُرَدِّدُونَ :

لَحْنُ الدِّينِ بِأَيْغُوا مُحَمَّدًا      عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

وراح سَلْمَانُ يَضْرِبُ فِي الْحَنْدَقِ ، فَاغْتَرَضَتْهُ  
صَخْرَةٌ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ  
يَضْرِبُ ، وَرَأَى شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيْهِ ، ذَهَبَ إِلَيْهِ ،  
وَأَخَذَ مِنْهُ الْمِغْوَلَ ، فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً ، فَلَمَعَتْ تَحْتَ  
الْمِغْوَلِ بَرْقَةٌ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى ، فَلَمَعَتْ  
تَحْتَهُ بَرْقَةٌ أُخْرَى ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهِ الثَّالِثَةَ ، فَلَمَعَتْ بَرْقَةٌ  
أُخْرَى .

فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ :

— يَا أَبَى أَنْتَ وَأُمِّي ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا هَذَا الَّذِي  
رَأَيْتُ لَمْعَةً تَحْتَ الْمِغْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ ؟  
قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ :

— أَوْقَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ ؟  
— نَعَمْ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ :

- أمّا الأولى ، فإنّ الله فتح على باب اليمن ،  
وأمّا الثانية ، فإنّ الله فتح على باب الشام والمغرب ،  
وأمّا الثالثة ، فإنّ الله فتح على باب المشرق .

في هذه اللحظة الشديدة ، التي كان المسلمون  
يحفرون فيها الخندق ، ولا يستطيعون أن يخرجوا  
فيها لأعدائهم ، كان رسول الله على ثقة من نصر  
الله ، وكان على يقين من أنّ الله سينصره ، وينشر  
دينه في اليمن وفي الشام ، وفي المشرق والمغرب .

### ٣

جاء أبو سفيان في جيش عدته عشرة آلاف ،  
وجاء رسول الله في ثلاثة آلاف ؛ وكان الخندق بين  
الجيشين ، وأغلق يهود بني قريظة حصنهم عليهم ،



كانوا قد عاهدوا رسولَ الله على أن يعيشوا في  
جوارِ المسلمين في أمان ، ولكن زعيمَ اليهود الذي  
اتَّفَقَ مع قريش على القتال ، جاء إلى الحصن ، وقال  
لرئيسِ بني قُرَيْظَةَ :

- وَيْحَكَ ، افْتَحْ لِي .

فلم يشأ أن يفتح له ؛ لأنه كان يعلمُ أنَّ ما جاء  
إليه إلا ليطلبَ منه قتالَ محمد ، وقال :

- إِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا ، فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي  
وَبَيْنَهُ ، وَلَمْ أَرْ مِنْهُ إِلَّا وِفَاءً وَصِدْقًا .

- وَيْحَكَ ! افْتَحْ لِي أَكَلَمَكَ .

وَاسْتَمَرَ يُلِحُّ عَلَيْهِ ، حَتَّى فَتَحَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ :

- وَيْحَكَ ! جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ .

- وَمَا ذَاكَ ؟

— جئتُك بقریش والعرب ، قد عاهدوني أن  
لا يَرحُوا حتى نَسْأَصلَ محمداً ومَن معه .  
فقال زعيم بني قُرَيْظَة :

— ويحك ! قد عني وما أنا عليه ، فإني لم أر من  
محمدٍ إلاَّ وفاءً وصدقاً .

إلاَّ أنه قبلَ أخيراً أن ينضمَّ بنو قُرَيْظَة ، حلفاءُ  
محمد ، إلى أعدائه ؛ وبلغَ الخبرُ رسولَ الله ﷺ ،  
فأرسلَ إلى بني قُرَيْظَة ساداتِ المسلمين في المدينة ،  
وقال لهم :

— انطلقوا حتى تأتوا هؤلاء القوم ، فتَنظُّروا أحقَّ  
ما بَلَّغنا عنهم .

وذهب المسلمون إلى اليهود ، وسألوهم عما بَلَّغَ  
رسولَ الله عنهم ، فقال اليهودُ في سُخْرِيَة :

- مَنْ رَسُولُ اللَّهِ ، لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ .  
وَعَلِمَ سَادَاتُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ ، أَنَّ الْيَهُودَ قَدْ  
انْضَمُّوا إِلَى أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَعَادُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ،  
وَابْلَغُوهُ أَنَّ الْيَهُودَ قَدْ خَانُوهُ ، وَمَالُوا إِلَى أَعْدَائِهِ .

#### ٤

حَاوَلَ الْكُفَّارُ أَنْ يَجْتَازُوا الْخَنْدَقَ ، وَلَكِنْ سِيَّاهُمُ  
الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ تُرَدُّهُمْ . وَاسْتَمَرَ حِصَارُ قَرِيشٍ  
لِلْمُسْلِمِينَ قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ ، فَتَضَائِقُ أَبُو سُفْيَانَ ، كَانَ  
يَحْسِبُ أَنْ سَيَقْضَى عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْصَارِهِ فِي يَوْمٍ  
وَاحِدٍ ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَكَّةَ ، وَلَكِنْ ذَلِكَ الْخَنْدَقُ حَالِ  
بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يُحَقِّقَ هَذَا الْأَمْلَ .

وقفز فرسان من قريش من مكان ضيق في  
الخدق ، فخرج على بن أبي طالب في نفر من  
المسلمين وقابلهم ، ودارت مبارزات بين فرسان  
قريش وفرسان المسلمين ، انتهت بانكسار فرسان  
قريش . ولكن اشتد البرد والجوع على المسلمين ،  
ونزلت بهم شدة عظيمة بسبب الجوار ، فراح  
رسول الله يدعور به :

- اللَّهُمَّ مُنِزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعِ الْحِسَابِ ، اهْزِمِ  
الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ اهْزِمِهِمْ وَارْزِلْهُمْ

واشتد البرد في الليل ، وصفرت الرياح ، ودخل  
المسلمون خيامهم ، وكانت في الخندق ، واشتدت  
الرياح فاقتلعت خيام قريش ، وطرحت قذورهم ،  
فدبت القوصى في معسكرهم ، وحاولوا أن يجردوا



مَكَانًا يَسْتَخْفُونَ فِيهِ مِنْ غَضَبِ السَّمَاءِ ، وَلَكِنْهُمْ لَمْ  
يَجِدُوا مَأْوًى لَهُمْ ، فَاشْتَدَّ بِهِمُ الْكَرْبُ ، وَضَعُفَتْ  
نُفُوسُهُمْ ، وَتَمَنَّوْا أَنْ تَكْفَ الرِّيَّاحُ ، لِيَعُودُوا إِلَى  
مَكَّةَ ، فَقَدْ تَحَالَفَتِ الطَّبِيعَةُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ .

وَهَدَّاتِ الرِّيَّاحُ ، وَأَصْبَحَ الصَّبَاحُ ، فَنَظَرَ  
الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَعْسَكِ الْأَعْدَاءِ ، فَوَجَدُوا سُكُونًا  
وَهَدْوًى . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :

— مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟

فَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ : « أَنَا » .

وَخَرَجَ الزُّبَيْرُ إِلَى مَعْسَكِ قُرَيْشٍ وَهُوَ يَسِيرُ فِي  
حَذَرٍ ، فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا قُدُورًا مُنْكَفِيَةً ، وَخِيَامًا مُقْتَلَعَةً ،  
فَعَادَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مَسْرُورًا وَصَاحَ :

— رَحَلُوا .. رَحَلُوا .

فَشَاعَ الْفَرْخُ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَتَفُوا :  
 - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدُهُ ، وَنَصَرَ  
 عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَخَدَهُ ،  
 فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ .

وَحَمِدَ رَسُولُ اللَّهِ رَبَّهُ ، ثُمَّ قَالَ :  
 - الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا ، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ .



انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى دَارِهِ ، وَانصَرَفَ  
 الْمُسْلِمُونَ إِلَى دُورِهِمْ ، وَوَضَعَ النَّبِيُّ سِلَاحَهُ ، فَجَاءَهُ  
 جَبْرِيلُ ، وَقَالَ لَهُ :

- أَوْقَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « نَعَمْ » .

فقال جبريل : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ بِالْمَسِيرِ  
يَا مُحَمَّدُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ ، فَمُزِلْ  
بِهِمْ » .

خَانَ الْيَهُودُ مُحَمَّدًا ، وَتَأَمَّرُوا عَلَيْهِ ، وَلَوْلَا أَنْ  
لَطَفَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْقَذَهُ مِنْ حِصَارِ أَعْدَائِهِ ، لَكَانَ فِي  
ذَلِكَ الْقَضَاءِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، لِذَلِكَ كَانَ لِأَبَدٍ مِنْ  
حَرْبِ الْيَهُودِ ، وَأَخْرَاجِهِمْ مِنْ جَوَارِ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمْ  
يَعُدَّ لَهُمْ أَمَانٌ .

أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ مُؤَذِّنًا ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ :  
- مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا ، فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي  
بَنِي قُرَيْظَةَ .

واجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ فِي عُدَّةِ الْقِتَالِ ، وَذَهَبُوا إِلَى  
حِصُونِ بَنِي قُرَيْظَةَ ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ الْيَهُودُ ارْتَجَفُوا ،  
وَدَخَلُوا الْحِصُونَ ، فَأَغْلَقُوهَا عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ

عندهم طعام ولا شراب يكفيهم ، فحاصروهم  
المسلمون حتى طلبوا التسليم .

عرض عليهم رسول الله أن يعلنوا إسلامهم  
فرفضوا ، وعرضوا عليه أن يحكم بينهم وبين رسول  
الله حكم ، فلما جاء الحكم رأى أنهم تآمروا على  
خلفائهم ، وأن هذه الخيانة جزاؤها القتل ، فأمر  
بقتل الرجال ؛ ونفذ حكم ذلك الحكم في اليهود ،  
فأصبحت المدينة للمسلمين ، أورثهم الله إياها ،  
وكان الله على كل شيء قديرا .